بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعتبر النبي موسى عليه السلام من أهم أنبياء بني إسرائيل، فهو صاحب رسالة وكتاب حفلت حياته بالكثير الكثير من الأحداث والأمور وارتبط ببني إسرائيل باعتبارهم قومه الذين بعثه لهم الله عز وجل.

وحين أُلّفت التوراة العبرانية على يد عزرا الكاتب أيام التحرير البابلي جمع ما حفظه كبار السن من بني إسرائيل والكهنة، وتحدث عنه في عدة أسفار أهمها سفر الخروج وسفر العدد واللاويين والتثنية.

وحين نطالع سيرة النبي موسى عليه السلام في التوراة المحرفة والقرآن الكريم، نجد العديد من الموافقات والعديد من التناقضات، لذلك وجب علينا التدقيق في سيرته ومراجعة النصوص التي تحدثت عنه.

وحين الحديث عن مسرى حياته تواجهنا عدة آراء خاصة فيما يتعلق بالصراع مع فرعون ووجود بني إسرائيل في مصر وسيناء.

فالعديد من الدراسات حاول أصحابها نفي وجود موسى عليه السلام في مصر ونفي وجود بني إسرائيل فيها، وقال أصحاب هذه الدراسات إن مسرح الأحداث بين موسى عليه السلام وفرعون هو الجزيرة العربية وليس مصر، ومن هذه الدراسات دراسة للسيد أحمد الدبش وهي بعنوان موسى عليه السلام وفرعون في جزيرة العرب.

ومن تلك الدراسات دراسة للدكتور كمال صليبي التي جاءت بعنوان التوراة جاءت من جزيرة العرب، وقد استند الباحث الدكتور زياد منى إلى أطروحة كمال صليبي وتوصل إلى نتيجة مفادها: «جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير»، وأراد الباحث أن يثبت أن أحداث التوراة جرت في منطقة عسير في الجزيرة العربية.

ويكمل هذا المنهج الدكتور أحمد داود الذي سار على منهج الصليبي لكنه يرى اختلافاً بيّناً بينه وبين كمال الصليبي، حيث يرى أن كتاب التوراة هو في مجمله لا يخرج عن إطار التراث العربي الذي كان يحفظ مدوناً في الذاكرة لعشائر عربية عاشت أحداثاً معينة في منطقة بدوية في شبه جزيرة العرب.

وسار على هذا المنهج الباحث العربي فرج الله صالح ديب في كتابه التوراة العربية وأورشليم اليمنية. وقد توصل الباحث إلى أن مسرح الحوادث التي ورد ذكرها في التوراة لم يكن في فلسطين ولا في الحجاز وإنما في اليمن وفي محيط صنعاء، وأن التوراة في الأصل ذات منشأ عربي.

وفي نفس الإطار كتب فاضل الربيعي فاعتبر أن فلسطين المتخيلة كانت في اليمن. وأن أورشليم لم تكن في فلسطين.

والواقع أننا لسنا في صدد استعراض تلك الكتابات، فلكل مجتهد نصيب. لا نعيب على أي باحث جهده مهما كان متوافقاً أو مختلفاً ومعارضاً لما نكتبه في هذا الكتاب.

ومع كل هذا لابد أن نطرح السؤال التالي:

ما الهدف من وراء القول: إن مسرح الأحداث التوراتية لم يكن في مصر أو سيناء أو فلسطين؟.

ما الهدف من وراء القول: إن التوراة جاءت من شبه الجزيرة العربية؟.

كثيرون يفهمون القصد على أنه إبعاد الوجود اليهودي عن فلسطين، وأن الادعاء الصهيوني بأن أرض فلسطين أرض ميعادهم هو ادعاء باطل لا يستند إلى أي حقيقة، إن هذا بحد ذاته جيد وحقيقة لا ينكرها عاقل.

ولكنّ الذي يثير هو إثبات وجود لنبي إسرائيل وتوراتهم في الحجاز، أو اليمن، أو عسير، وكيف يثبت ذلك؟ إنه من خلال عدم وجود آثار مادية تشير إلى اليهود في مصر أو فلسطين، ومن خلال ورود أسماء مشابهة لأسماء المناطق الفلسطينية وهي الجزيرة العربية واليمن.

obeikandl.com

على أية حال. فإن الحركة الصهيونية كمشروع استعماري موجود في فلسطين اليوم، وهذا الوجود قوي بسبب الدعم الغربي غير المحدود له وبسبب تواطؤ النظام الرسمي العربي في غالبيته أو بسبب ضعفه وعدم اعتبار فلسطين مركزاً للصراع بين المشاريع الغربية الاستعمارية وبين العرب والمسلمين.

الكيان الصهيوني موجود وهو قوي بما يكفي للحفاظ على وجوده، وأعتقد أن المقولات التاريخية والتي سبق ذكر بعضها لا تهم في هذا الكيان ولا تلقى آذاناً صاغيةً.

وأذكر أن مناحيم بيغن عندما طُرح على طاولته كتاب يهود الخزر لمؤلفه آرثر كوستلر والذي يؤكدفيه أن غالبية اليهود الغربيين المتواجدين في فلسطين ليس لهم أية صلة بالمنطقة وهم خزريون آريون قال بيغن: إنْ قالوا عنا خزريين أو غير ذلك فهذا لا يهمنا نحن موجودون هنا على هذه الأرض ووجودنا ثابت لا يتزعزع، نحن موجودون بقوتنا المعاصرة لا أكثر ولا أقل.

وأعتقد أن الوجود الصهيوني في فلسطين اليوم لم يعد يأبه للدراسات التاريخية والاجتهادات البحثية التي تتناول تاريخ بني إسرائيل وتوراتهم، فهذا الوجود يقوم على أسس سياسية استعمارية غربية، وضع الدين كستار لها، لكن هذا الستار تمزق وانفضح.

وعندما نقف بين ما كُتب في التوراة وما كتب عن التوراة والأنبياء وبني إسرائيل نجد أنفسنا في إطار منهج ثالث. ليس هو منهج التوراة المحرفة الملفقة وليس هو منهج الباحثين الذين يستبعدون الأحداث وينسبونها لجغرافية أخرى.

إن المنهج المتبع في رؤيتنا هو المنهج المستند إلى مقارنة الأديان، فأمامنا القرآن الكريم وأمامنا التوراة التي يعتقد اليهود أنها كلام الله.

ففي التوراة قصص وتاريخ وأساطير وتشويهات وتناقضات وجغرافيا ونفوس وبشر، وفي القرآن الكريم حديث مطول عن بني إسرائيل نتوقف عنده لنقول كلمتنا في التوراة المحرفة، في شخصياتها. في جغرافيتها. في تاريخها وعقائدها، وخرافاتها وأساطيرها.

ونعتقد أن غايتنا الكشف الحقيقي عن شخصية النبي موسى عليه السلام لا كما قالت التوراة بل كما قال الله سبحانه في قرآنه، فالنبي موسى يقع في دائرة النبوة التي تحوي الأنبياء جميعاً، وهو نبي موحد جاء لقوم وثنيين، وعانى منهم ما عانى طوال عشرات السنين حتى ملّ منهم أخيراً، فدعا الله أن ينجيه منهم ويُميته لئلا يظل بينهم.

إن ما يهمنا في هذا البحث كشف حقيقة التأليف التوراتي وعدم تدخل اليد الإلهية فيه، ومادام الأمر كذلك فإن شخصية النبي موسى عليه السلام وعلاقته ببني إسرائيل هي علاقة سيئة إلى أقصى درجات السوء. وهذا ما سنكتشفه عندما نضع نصوص التوراة تحت الضوء وفي المقياس المنطقي العقلاني الذي نجده في القرآن الكريم.

إننا نعتقد أن تخليص الأنبياء من براثن اليهود، وخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان والمسيح، سيجعلهم عراة في الدين والعقيدة وسيجعلهم مكشوفين على حقيقتهم الفاسدة.

وساعتئذٍ سنرى أن الأساس الديني الادعائي سيسقط وتسقط معه حججهم الكاذبة بأن الله وعد أنبياءهم بأرض فلسطين. فهؤلاء اليهود ليس لهم علاقة بهؤلاء الأنبياء وهم ليسوا على دينهم، وليسوا على سلوكهم، إنما هم منحرفون وجدوا أنفسهم فارغين ليس لهم سند ديني فإذا بهم ينسبون أنفسهم إلى هؤلاء الأنبياء زوراً وبهتاناً على الرغم من تشويهاتهم لهم ولحياتهم وسلوكهم ونبوتهم.

وهذا ليس كلاماً عاطفياً دينياً، إنما هو واقع سنراه من خلال تحليل النص التوراتي، والنص القرآني، ومن خلال الدراسات المتعددة في الإطار النفسي والتاريخي والجغرافي واللغوي والاجتماعي والسياسي.

ولابد لنا من القول هنا: إن البحوث التي تناولت جغرافية الحدث الإسرائيلي على أنه في شبه الجزيرة العربية في الحجاز أو اليمن لا يعفينا من دحض مزاعم النص التوراتي المحرف وإسقاطه من دائرة الموثوقية، ولا يعفينا من إنصاف الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم وبيّن أنهم وقعوا تحت دائرة التشويه التوراتي.

والنبي موسى عليه السلام هو الأكثر أهمية بالنسبة لبني إسرائيل والأطول حياة بينهم لذلك كان لابد لنا من تتبع مسيرة حياته يوماً بيوم. نقارن النص التوراتي

obeikandl.com

بالنص القرآني لندرك الحقائق الثابتة التي لا تنازع العقل والمنطق ولا التحليل العقلي والمنطقي.

إن منهجنا في هذه البحوث يستند على مبدأ راسخ هو أن أنبياء الله الذين ذكروا في القرآن الكريم وتناولت التوراة بعضهم هم أنبياؤنا ونحن أحق بالدفاع عنهم وعن رسالاتهم التوحيدية التي تكمل بعضها بعضاً.

فمنهج التوحيد لدى الأنبياء جميعاً هو منهج واحد، غايته هداية الناس إلى الدين القويم وليس غايته العنصرية والقتل واحتقار بني البشر، وتصنيفهم في طبقات عنصرية مقيتة، كما يقول التوراتيون التلموديون المنحرفون.

لقد وقع بعض الباحثين في فخ النص التوراتي فراحوا يشتمون الأنبياء ويرددون ما قالته التوراة عنهم، حتى ظنّوا أن موسى عليه السلام قائد عسكري دموي يقود جماعات متخلفة إلى الحروب والقتل، وقالوا عنه إنه العنصري التوراتي الأول.. إلخ، ونحن نعتقد أنه كان عليهم أن يراجعوا ويتدبروا النص القرآني ليروا أن ما قالته التوراة ليس سوى خرافات وليس سوى أوهام وتشويهات كتبها عزرا الكاتب وعدّل فيها المنقحون الكتبة من فريسيين وتلموديين فزادوا التشويه تشويهاً والكذب كذباً، والأوهام أوهاماً.

ورب قائل يقول: إن كثيراً من المتشابهات تقع بين التوراة المحرفة والقرآن الكريم وخاصة في قصص الأنبياء فماذا يعني ذلك؟.

نقول في هذا المنحى: إن جمع أخبار بني إسرائيل من أفواه الإسرائيليين على يد عزرا الكاتب خلط بين أجزاء صحيحة وأخرى وهمية وقد غلب على هذه الأخبار ما هو ملفق ومشوّه، ولاشك أن بعض الأجزاء الصحيحة تتقاطع مع قصص القرآن في الأحداث التي لا يحدد تاريخها القرآن الكريم لأنه ليس كتاب تاريخ، بينما الكاتب يضع تواريخ متناقضة، فيقع في مطب الوهم والتخيّل ظنّاً منه أن لا أحد يستطيع مناقشته باعتباره كلاماً موحى به من الله حسب زعمه وحسب ادعاءات أصحابه.